بلقنة المنطقة، ومعالم التقريب * !!!

استحضر ويستحضر تعبير " البلقنة " .. وهو مستقى من " البلقان " ذات الجزر الصغيرة المتعددة، ما صرنا نراه من سنوات من توالى مشاهد التجزئة والتفتيت .. كانت العراق مثلاً صارخا لذلك منذ الغزو الأنجلو/ أمريكى تحت شعار مطاردة أسلحة الدمار الشامل التى استبان ـ بعد الغزو ـ أنها أكذوبة توارت وراءها مآرب خبيثة صار باديا الآن أنها لا تقتصر على " بلقنة " العراق، وإنما هى فرع على مخطط قديم جديد يستهدف بلقنة المنطقة بأسرها .. لم يكن ما سقط من تونى بلير فى مقالة نشرت له بالأهرام فى ٢٠٠٣/٣/٣٠ ـ من أنهم يسعون إلى أن يتقاسم العراق العرب والأكراد والأشوريين والسنة والشيعة والمسيحيين ومن أسماهم جماعات أخرى ـ لم يكن ذلك كشفاً فقط عن مخطط أمريكا / إسرائيل لبلقنة العراق، وإنما ظهر مع الأيام وما يتوالى من مشاهد إلى اليوم .. أنه جزء من مخطط أوسع لبلقنة المنطقة كلها والعالم الإسلامى بأسره ـ إن لم يكن بالتفتيت الإقليمى إلى " دويلات " و " أقطار" أصغر، فليكن بإثارة النعرات القبلية والطائفية والعرقية والمذهبية لتتمزق الدول العربية والإسلامية إلى كيانات صغرى تغرق فى صراعات ومشاحنات ومواجهات تفتت وتشرذم وتقضى قضاءً مبرماً على الكيانات الموجودة لنزع فرص نموها وإجهاض مستقبلها، وإخصائها

---

* الجمهورية ٢٠٠٣/٤/٢٨

• منقحة ـ صوت الأزهر ٢٠١١/٣/٤

لتكون أقل قوة، وأهون قدراً، وأيسر منالاً، وأسهل سيطرة وتسخيراً وإخضاعاً وإذلالاً !!

القوى المتحالفة : أمريكا / إسرائيل فى المقام الأول، تعلم وتدرك أن فرصة تفعيل الهيمنة الأمريكية / الإسرائيلية، وتكريس تضخم الحجم النسبى لإسرائيل صغيرة الكيان والإمكانيات أصلاً - لا يتأتى تحقيقه ما لم يتم هذا التفتيت وهذه البلقنة لتتشرذم هذه الكيانات - أو أطلال ما بقى منها !! - إلى "فتافيت" و" شراذم " إقليمية ومذهبية وعرقية وطائفية ومحلية .. وهذه القوى المتحالفة - لا تلعب على فراغ، فهى تدرك أنه كما دان لأوربا مختلفة الجنسيات والأصول والأعراق واللغات والتواريخ، أن تتكتل وتتجمع فى سوق أوربية مشتركة ثم فى اتحاد أوروبى، وما دان لأمريكا القديمة من التحمع فى الولايات المتحدة الأمريكية الآن، والتى نجحت فى أن تضوى فى كيان واحد معامرين مهاجرين من أشتات متفرقة وأعراق وجنسيات ولغات وبقاع مختلفة، وكيف هيأ ذلك لقيام الكيان الكبير الذى صار القوة الكاسحة Power Hyper فى عالم اليوم الواحد القطبية .. أدركوا من واقع هذه التجارب أن التفتيت هو الكفيل بمصادرة وإضعاف الكيانات العربية والإسلامية - بتفتيت وحدتها وبعثرة كيانها وتمزيقه إلى جزر ومجموعات ودويلات إقليمية وعرقية ومذهبية وطائفية تتصارع بدلا من أن تتساند .. وتتقاتل بدلاً مما كانت عليه من التئام وتوحد عاش سلفا فى بعض صفحات التاريخ .. ومن توابع دروس البلقنة، أن ما جرى للإتحاد السوفيتى الذى انفرط عقده وتبعثر إلى دويلات - كان حصاده رصيدا بالإيجاب للولايات المتحدة الأمريكية التى صارت القطب الأوحد وحاكمة العالم المتحكمة فى مقدراته

بلا منازع وبلا أى قوة قادرة على مراجعتها أو حتى محاورتها محاورة فاعلة مؤثرة !!!

لم يكن إذن ما فرط من تونى بلير من سنوات - مجرد زلة لسان، أو خطأ مطبعيا .. إنما هو تعبير عن إستراتيجية محكمة مرسومة مارستها ولعبتها بريطانيا ذاتها زعيمة الاستعمار القديم !! .. هذه الإستراتيجية تستهدف بلقنة وشرذمة المنطقة كلها لا العراق وحده .. وساذج من يظن أويتوهّم أو يحلم بأن " البلقنة " المعنيّة سوف تشبع وترتوى بعد أن تطول العراق ثم تتوقف .. لقد جرى بأمس بلقنة الإمبراطورية العربية العباسية ثم العثمانية .. ثم جرت بلقنة أقطار ما تفتت عن الإمبراطورية العثمانية .. هذه " البلقنة " جارية من عقود، وأزمان . لم يكن حسبها فصل " الرأس " عن باقى الجسد، ومتابعة استيلاد الأزمات فى إطار مخطط يبقيها منغمسة فى مشكلات معقدة ومركبة !!، وإنما تابعت المخططات الاستعمارية بلقنة " الشام " الواحد إلى سوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين - قبل أن يجرى ابتلاع فلسطين، مثلما تم تفكيك الدولة الكبيرة التى كانت تضم السودان ومصر والشام والحجاز . ، حتى إذا ما انتقلنا إلى شبه الجزيرة العربية وما حولها لم تخطئ العين سياسة " البلقنة " التى أحالت الكيان هناك إلى" محميات " و " إمارات " و" دويلات "، وقسمت اليمن إلى جنوب وشمال، ثم استهدفت السعودية لتقطيع علاقاتها مع بقية العالم الإسلامى .. مثلما جرى من زمن " بلقنة " المغرب العربى إلى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب .. واستحداث وإثارة وتفعيل القضايا التى تستهلكه · المغرب ومشكلة الصحراء الغربية والبوليساريو .. الجزائر والبعثرة والعنف بين فصائله .. " جبل طارق " الذى أعلنت بريطانيا وأسبانيا من سنوات تقاسم السيادة فيه !! .. كل ذلك تحت مظلة

تقسيمات " إمبراطورية الاحتلال " التى حين أخلت تركت كيانات مبلقنة بدلاً من الكيان الواحد الذى كان هنا أو هناك !!

ليس مقصدى هنا قراءة تاريخ ما كان، وإنما فقط لأخذ خطوطه العامة شاهداً على ما يجرى اليوم .. " البلقنة " جارية الآن على قدم وساق .. إحماء وإيقاظ العصبيات والطائفيات والمذهبيات والعرقيات والإقليميات لا يتوقف ولا ينى ولا يهدأ . الإستراتيجية الأمريكية الإسرائيلية تستثمر " الفتوق " الموجودة فعلاً لتوسعها وتحولها إلى " فلوق " مفرطحة منفسحة لا التئام لها .. يجرى هذا على قدم وساق .. دون أن تفيق الأقطار المغلوبة على أمرها، أو تتنبه إلى حقيقة ما يراد بها .. أو تشخص ما يجرى من عمليات بلقنة وتفتيت تتشح بأسباب شتى .. إن ما كان يقال سلفا من باب الاستنتاج - قد صارت له الآن أدلة ساطعة تؤكد أن تفتيت المنطقة وبعثرتها إلى أشلاء هدف تبذل فى سبيله الأموال والأسلحة وتُشن من أجله الحروب وتُصطنع من أجله الأزمات .. ما جرى ويجرى بين شمال وجنوب السودان أحدث فتقاً جعلوا يحولونه إلى فلق ضخم ينفصل به فى النهاية جنوب السودان عن شماله فى مخطط أوسع يستهدف " أفرقة " السودان وعزله عن هويته العربية الإسلامية .. وها نحن نرى الآن انفصال جنوب السودان عن شماله !! .. ما يجرى إثارته هنا أو هناك من وقت لآخر من فتن طائفية فى بلدان عاشت على الدوام على نسيج واحد - هو إستراتيجية مقصودة لخلق " فلق " بين أبناء الجسد والنسيج الواحد .. ما يحدث فى الجزائر والمغرب والصحراء الكبرى، ودون الدخول فى التفاصيل، يسعى إلى إحداث مزيد من " البلقنة " فى المغرب العربى .. الحرب " المجنونة "، التى دفع إليها صدام أو زينت له من دبلوماسية أمريكية، هى " بلقنة " مقصودة لايزال " الكيان "

المنكوب يعانى عوادمها حتى أقام نفر من أبناء هذا الكيان الواحد الأفراح والأهازيج لسقوط بغداد .. هذا السقوط الذى تشرئب إستراتيجية التحالف لتنطلق منه - وكما سقط من تونى بلير فى مقاله للأهرام - إلى شراذم متطاحنة من العرب والأكراد والسنة والشيعة والأشوريين والمسيحيين ومن أسماهم السيد بلير جماعات أخرى !!!

أخطر ما يجرى اللعب عليه - بعد العرقية الكردية، إلهاب الحساسيات بين السنة والشيعة فى العراق وفى العالم الإسلامى .. وهو إلتهاب إن ثار وهاج سوف يطول الجسد برمته !!

* * *

يدرك التخطيط الخبيث الذى أشرنا إلى بعضه، بمآربه الأخبث، أن الإسلام - شأن الدعوات الكبرى - قد ماجت فيه أفكار ومذاهب وفرق وأحزاب دينية أو سياسية شتى .. وأنه مع كون الإسلام واحد فى عقائده وأحكامه وأصوله وثوابته، إلا أنه ما إن انقضى زمن النبوة، وخلافه الشيخين، وجزء من خلافة عثمان، إلا وفرض مساو ومنعطفات التاريخ ظهور فرق وأحراب دينية أو سياسية شتى، وتفرع عن كل منها عشرات من الفرق اختلفت واتفقت، وتجادلت وتقارعت، وهذه هى ضريبة على كل الدعوات الكبرى فى كل زمان ومكان .. من هذه الفرق ما بقى وعاش، ومنها ما إنقرض أو يكاد .. انقرضت وتوارت فرق الخوارج وغلاة الشيعة، وبقى فى الأمة الإسلامية تياران كبيران : تيار السنة من أهل الحديث والرأى ومن أئمة مدارسهم أبو حنيفة، ومالك، والشافعى، وابن حنبل .. والمتصوفة .. وتيار الشيعة، وفى مقدمته الزيدية، والإمامية ويلحق بهم الإسماعيلية والدروز والعلويون .. ومن قديم، والاستعمار البريطانى والفرنسى والإيطالى والهولندى والبلجيكى الذى احتل

أقطار المنطقة - يلعب على هذا الوتر، ويزكى ما وسعه شرر الخلاف ليس فقط بين السنة والشيعة، وإنما بين فرق وفصائل الشيعة ذاتها، فهذا إسماعيلى، وذاك درزى، وآخر علوى .. حتى رجال السنة، ريم أن تتحول مذاهب الأئمة الكبار إلى محاور خلاف، .. لعبة التحالف الاستعمارى على هذا الوتر قديمة، نزكيها أو نبتلع طعمها وسمومها دون أن ندرى ! .. إن أحدا من الشيعة أو السنة، لا يختلف حول منزلة الإمام على بن أبى طالب الذى ينزله الشيعة منزلة خاصة ويؤمنون بالإمامة لإثنى عشر من نسله، بيد أن مكانة الإمام لدى أهل السنة مكانة سامقة رفيعة أثيرة، محببة ومحل تقدير وتوقير وإجلال من جميع أهل السنة .. ما من قارئ للتاريخ الإسلامى، سنى أو شيعى، إلا ويتمنى أن يعود الزمان القهقرى ليتصدر الإمام على ويقيم المسلمين على الجادة كما تبأ الفاروق عمر حين قال عن مجلس الشورى الذى اختاره : " لو ولوها الأحلح (أى على) لحملهم على الجادة " .. ولكن التاريخ للأسف لا يعود، فما كان كان !! لن يعود الزمان القهقرى، ولكن سيبقى الإمام على فى منزلته السامقة التى يحفظها له أهل السنة كما يحفظها له الشيعة .

من سنوات، ومن منتصف القرن الماضى، إلتفت نجباء علمائنا إلى مخاطر تمزيق الأمة وبلقنتها من حلال إثارة الخلاف وتوسيع رقعته وفتقه وتحويله إلى " فلق " واسع يفصل بين السنة والشيعة ويجعل من كل منهما أمة غير الأخرى .. أقول إنه من قبل هذا التحالف الشرير الذى نرى اليوم مشاهده وأدلته ونتائجه المدمرة، نهض هؤلاء النجباء ليدعوا فى همة ونشاط إلى " التقريب " بين المذاهب الاسلامية . كان من حظى أن عرفت وإقتربت من الأستاذ العلامة المتفرد والمحامى الأديب الشاعر المفكر محمد عبدالله محمد الذى جمعت له ونشرت - فى كتاب - مقالاته عن معالم التقريب ..

والتي كانت قد نشرت تباعا فى مجلة " رسالة الإسلام " .. كان رحمه الله نائبا لرئيس جماعة التقريب التى عقدوا رئاستها للشيخ الإيرانى محمد تقى الدين القمى رحمه الله، وكانت مجلة " رسالة الإسلام " هى نافذة دعوتهم التى تناوب الكتابة فيها، وحمل دعوة التقريب، إلى جانب الشيخ القمى، والعلامة الكبير محمد عبدالله محمد - أئمة وأساتذة عظام .. أذكر منهم - تمثيلا لا حصرا - الإمام الأكبر الشيخ شلتوت، والإمام الأكبر عبد المجيد سليم - من شيوخ الأزهر، ومن العلماء المصريين العرب الشيوخ والأساتذة والدكاترة : عبدالله العلايلى، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ومحمد صادق الصدر، ومحمود فياض، ومحمد المدنى، ومحمد يوسف موسى، ومحمد عبداللطيف دراز، ومحمد محيى الدين عبد الحميد، ومحمد جواد مغنيه، وعبد المتعال الصعيدى، وعبد العزيز عيسى، ومحمد على علوبة، ومحمد صالح الحائرى المازندارى .

الدعوة إلى " التقريب" بين المذاهب الإسلامية أدعى وأولى فى زماننا - لمقاومة الفرقة والتشرذم والبلقنة التى يسعى إليها مخطط الشر لتفتيت وإضعاف الكيانات العربية والإسلامية، وأخذها قطعة قطعة، والقضاء عليها جزءا جزءا، وفصيلا فصيلا، وقطرا قطرا !!!

لست قلقا من محاولات إزكاء أى نعرات عرقية أو إقليمية، فإنصهار " الأعراق " فى هذا المحيط الكبير قد صار واقعا هائلا يستعصى على أى محاولات للتفتيت أو إزكاء نعرات .. ما أخشاه هو إثارة الحساسيات الدينية بإعتبارها أرضا صالحة لإلهاب العواطف . من المهم للشيعة والسنة وغيرهما من المذاهب، أن يدركو أن الإسلام قام ونهض وإستمر بوحدة المسلمين .. أن يتعانقوا ويلتفوا حول " التقريب " بين المذاهب الإسلامية - الذى حمل شعلته هؤلاء السابقون .. أن يدركوا أن التقريب ضرورة حياة للإسلام والمسلمين .. أنه أداة تقارب ورأب صدع وجمع شمل .. أن يعى

ويفهم أهل هذه المذاهب أنهم ينتمون إلى دين واحد، وأنهم جميعا لا خلاف بينهم فى الأساسيات : إلههم واحد، وكتابهم واحد، وقبلتهم واحدة .. لا يختلفون على أى ركن من أركان الإسلام، وأن هذا القدر المجمع عليه بينهم هو جوهر الإسلام ورأس مال المسلم أيا كان مذهبه .. التقريب - فيما قرأت لمحمد عبد الله محمد - لا ينافس أحدا من أهل المذاهب على جاه أو نفوذ دينى أو دنيوى، ولا يدعى لنفسه سلطانا من أى نوع .. فالتقريب لو فعل ذلك لدخل الغمار وصار عامل فرقة جديدا بدل أن يكون دعوة إلتئام وتقريب .. لذلك فإنه ليس للتقريب ربقة فى عنق أحد ولا بيعة عند أحد، ولا هو مذهب أو حزب أو فرقة أو طائفة .. لو إتجه التقريب إلى ذلك لزاد عدد الفرق والمذاهب والأحزاب الدينية، ولأدى بالتالى إلى مزيد من التفرق والإختلاف .. التقريب مرتبط منهاجا وغاية بوحدة المسلمين جميعا . وحدة تدور حول محورين : الأول، التسليم بحقوق عامة للمسلم .. لكل مسلم فى كل زمان وفى كل مكان من بلاد الإسلام بغض النظر عن مذهبه أو عرقه أو جنسه أو لونه أو طبقته أو لغته .. والمحور الثانى لوحدة المسلمين فى نظر التقريب، هو الإعتقاد بأخوة المسلم للمسلم تبعا لإخوتهما فى الله عز وجل!

التقريب الذى حمله هذا الرعيل وندعو إلى إحيائه، ليس حركة تبشيرية .. فليس من أهداف رسالته الدعوة للإسلام، وإنما تقارب وجمع شمل المسلمين .. التقريب لا ينتصر لمذهب على مذهب، ولا يدعو إلى إزالة مذهب من المذاهب الإسلامية، فهو لو فعل ذلك لزاد الصراع والفتق ولم يرتقه .. التقريب دعوة تنشد إزالة العداوة أو سوء الفهم المتبادل بين المذاهب الإسلامية القائمة .. بل إن التقريب لايضيق بالفكر والرأى، لأن وجود مدارس مختلفة للفكر والرأى هو علامة صحة لا مرض .. يبدأ المرض إذا فقدت مدارس الفكر

وتيارات الرأى القدرة على التحاور العاقل وابتعدت عن أدب الحوار وأدب الإختلاف .. الإسلام نفسه شحنه هائلة من النشاط العقلى والروحى تأبى - فيما يقول أستاذنا محمد عبدالله محمد - أن يتحول المسلمون إلى مجرد نسخ متطابقة من عقل واحد، ففضلا عن أن هذا محال، فإن الإسلام لا يطيقه ولا يريده ولا يستهدفه .. المسلم فى شرعة الإسلام ليس نسخة من أحد، ولا هو مقبول منه أن يكون نسخة أو أن يكون إمعة مع الناس وفى ركاب الناس .. مصير المسلم معلق بعنقه وفكره وعقله ورأيه ..المسلم فى شريعة القرآن أصل فذ يعقد عليه الإسلام آماله ويهادى به الدنيا بأسرها .

ليس من مصلحة الإسلام والمسلمين كبت النشاط العقلى والروحى داخل الإسلام ..الإسلام يقوى ويتقدم طالما انطوى على عقول تفكر وتتفاعل، وهو على العكس يتحوصل ويتقزم بل ويندثر نوره الحقيقى إذا لم يعد يفكر فيه ويشعر به سوى الحمقى والجهلاء !!

إنحصار أهل المذاهب فيما يرام حصرهم فيه، هو ابتعاد وإبعاد عن روح الإسلام، وبلقنة وشرذمة للمسلمين، وتفتيت لوحدتهم التى كانت مناط ومرجع ما استطاعوا أن يطاولوا به الدنيا، ويهدوا البشرية على مدار حقب وأجيال .. من واجبهم أن يستخلصوا " الروح " التى انطلقت بها حضارتهم فى السالف .. هذه الروح هى حبل النجاة الحقيقى مما يراد لهم وبهم !

نعم إننا كآدميين، مدفوعون فيما يقول محمد عبد الله محمد - بدافع فطرى لا يهدأ، نحاول دائما أن نبدو على صورة أفضل، وهذا الدافع الفطرى هو وراء ملة إبراهيم ووراء دين محمد عليهما الصلاة والسلام .. فنحن نعبد خالق الكل سبحانه استجابة لفطرته التى فطر عليها النوع الإنسانى والتى هى أصل الأديان وقوامها .